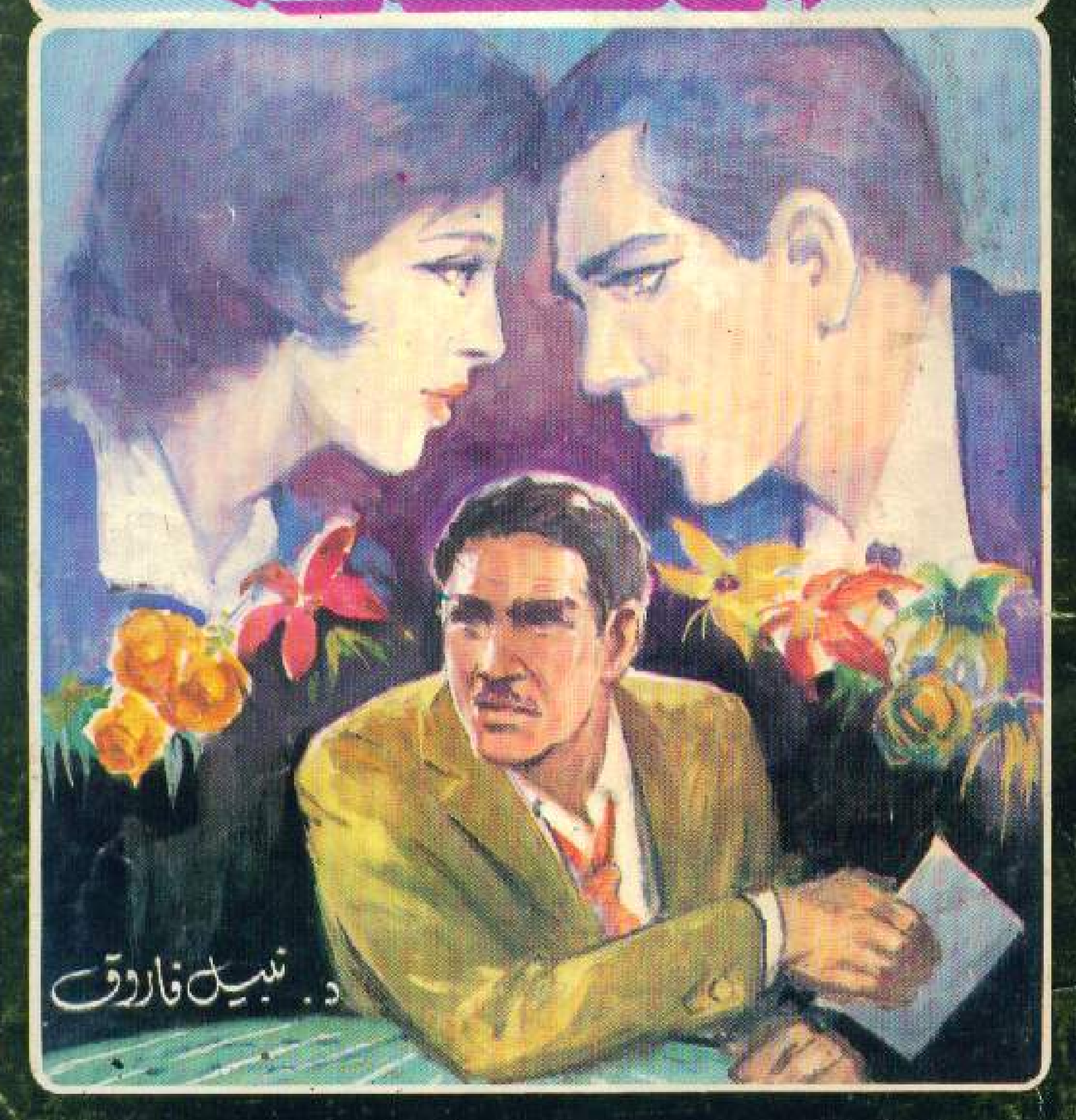
روايات مصرية للجيب

٧

بانوراما

للشباب

التائه



د. نبيل فاروق



كل مجرم يترك دليلاً خلفه ..

هذه هى القاعدة ، التى أومن بها طيلة عمرى ، منذ بدأت عملى كرجل قانون ، دون أن تفقد إيمانى بها قط ، على الرغم من كل ما واجهته ..

فيما عدا هذه المرة ..

ففى هذه الجريمة ، التى أقف أمامها حائرًا ، أعجز عن العثور على دليل واحد ، يرشدنى إلى مرتكبها أو مرتكبيها ..

إنها - فى رأيى - الجريمة الكاملة ..

دعونا نراجع ما حدث معًا ، وسترون أننى على حق ..

لقد تلقيت البلاغ هذا الصباح ، فهرعت إلى هنا ، ليواجهنى هذا اللغز العجيب ..

الجريمة نفسها كانت عادية للغاية ، فلقد باغت أحدهم صراف شركة كبرى ، وأفقده الوعى ، ثم سرق مليون جنيه من الخزانة دفعة واحدة ..

إلى هنا ، وعلى الرغم من ضخامة المبلغ ، إلا أن الأمر ما يزال مألوفًا .. مجرد جريمة سرقة ..

ولكن ..

عندما وصلت إلى الشركة ، كان الصراف قد استعاد وعيه ، ويحيط به بعض زملائه ، فى حجرته الصغيرة ، يعاونونه على شرب كوب من الشاى باالليمون ، فى محاولة لإنعاشه ، فى حين كان المدير شديد التوتر ، ورجال الشرطة يحيطون بالمكان لحراسته ، وضمان عدم إتلاف الأدلة ، لحين وصولى ، ووصول رجال المعمل الجنائى ، فقلت فى غضب ، مشيرًا إلى الصراف وزملائه :

- ماذا يفعل هؤلاء هنا ؟

أجابنى ضابط الشرطة فى حذر :

- إنهم يسعفون زميلهم .

صحت محنقًا ..

- بل قل : يتلفون أية أدلة محتملة .. هيا .. أخرجوهم من هنا على الفور .

انتبه الضابط لما أعنيه ، فاحتقن وجهه فى توتر ، وأسرع يخلى الحجرة ، فى حين التفت أنا إلى المدير ، وسألته فى اهتمام :

ــ ماذا حدث بالضبط ؟

كان الطقس باردًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا ، راح المدير يجفف بعض العرق ، الذى تصبّب على وجهه ، وهو يجيب :

ــ كل شىء كان هادئًا ، ويسير على ما يرام ، وذهب الأستاذ (أمين) الصرّاف إلى البنك ، وأحضر العليون جنيه ، ثم أودعها الخزانة ، فى الحجرة التى يحتلها وحده ، وظل يواصل عدّها ، حتى موعد الغداء ، فأغلق الخزانة ، وطلب من حارس الحجرة حراستها جيدًا ، وغاب ساعة ، تناول خلالها طعام غدائه ، ثم عاد ليكمل عمله ، وأغلق الحجرة عليه كالمعتاد ، ومضت بضع دقائق ، ثم سمع الحارس صوت ضربة مكتومة ، وتأوهات الأستاذ (أمين) ، فراح يدق باب الحجرة بقبضته فى عنف ، ولكن الباب كان مغلقًا من الداخل ، فاجتمع معه بعض الموظفين ، وكسروا رتاج الباب ، واندفعوا إلى الحجرة ، ليجدوا الأستاذ (أمين) فاقد الوعى ، والخزانة خالية من النقود تمامًا.

بدا لى الحادث عاديًا ، حتى هذه النقطة ، فدخلت إلى حجرة الخزانة لأفحصها على نحو روتينى ، وبدت لى صغيرة بالفعل ، فهى لا تحوى سوى خزانة كبيرة ، كانت مفتوحة وخالية ، ومكتب يواجه باب الحجرة تمامًا ، سقطت فوقه كوفية صوفية سميكة مزدوجة ، ومنظار طبى سميك ، وبها نافذة واحدة ، إلى يسار المكتب ..

وبدأ الغموض يكتنف الموقف ، عندما فحصت النافذة ، التى كانت مغلقة من الداخل فى إحكام ، فالتفتت إلى المدير ، أسأله :

ــ من أغلق هذه النافذة ؟

أجابنى فى توتر :

ــ إنها مغلقة منذ الصباح ، فالأستاذ (أمين) مصاب بنوبة برد ، ويخشى مضاعفاتها .

عقدت حاجبىّ فى دهشة ، وأنا أراجع هذا الموقف العجيب ..





لو كان الباب مغلقًا من الداخل ، وكذلك النافذة ، فكيف دخل السارق إلى الحجرة ؟!

شغلتنى الفكرة ، فرحت أفحص الحجرة مرة أخرى ، ولم أجد بها سوى ما وجدته فى المرة الأولى ، بالإضافة إلى سلة ممتلئة بأوراق بيضاء ممزّقة ، تساقط بعضها حولها ، معلنًا لا مبالاة الأستاذ (أمين) وإهماله ..

وبدأت أدرس الاحتمالات كلها فى ذهنى .

كيف يمكن سرقة النقود ، فى مثل هذه الحالة ؟

ولم يجد عقلى سوى احتمالين لا ثالث لهما ..

إما أن يكون الحارس قد اقتحم الحجرة ، وأفقد الأستاذ (أمين) وعيه ، ثم غادر المكان ، وراح يدق الباب ، متظاهرًا بالفزع ، بعد أن سرق النقود وأخفاها ، أو يكون الأستاذ (أمين) نفسه هو السارق ..

ومن هنا ، بدأت باستجواب الحارس ، الذى وقف أمامى فى انتباه تام ، وأنا أسأله :

ــ لماذا لم تقتحم الحجرة مباشرة ، فور سماعك تأوهات الأستاذ (أمين) ؟

أجابنى بسرعة :

ــ كان الباب موصدًا من الداخل .

سألته :

ــ وكيف عرفت ؟

خُيّل إلىّ أنه يستسخف سؤالى ، وهو يجيب :

ــ حاولت فتحه فلم أستطع .

سألته فى حزم :

ــ هل تأكد غيرك من هذا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. الأستاذ (حسن) والأستاذ (مفتاح) ، حاولا فتح الباب ، ولكنهما أيقنا من أنه موصد من الداخل ، فتعاونا معى لتحطيم رتاجه ، واقتحمنا الحجرة معًا .

سألته :

ــ وماذا رأيت داخلها !

أشار إلى المكتب ، قائلاً :

ــ كان الأستاذ (أمين) ملقى فوق المكتب ، فاقد الوعى ، وكوفيته ملقاة أمامه ، والخزانة خاوية تمامًا .

اعتدلت فى مقعدى ، أسأله :

ــ وكيف عرفت أنها كوفيته ؟

بدا شبح ابتسامة على جانب شفتيه ، وهو يقول :

ــ إنه مصاب بنوبة برد ، وكان يلفها حول عنقه ، عندما حضر هذا الصباح ، وعندما خرج لتناول طعام الغداء ، وعند عودته أيضًا .

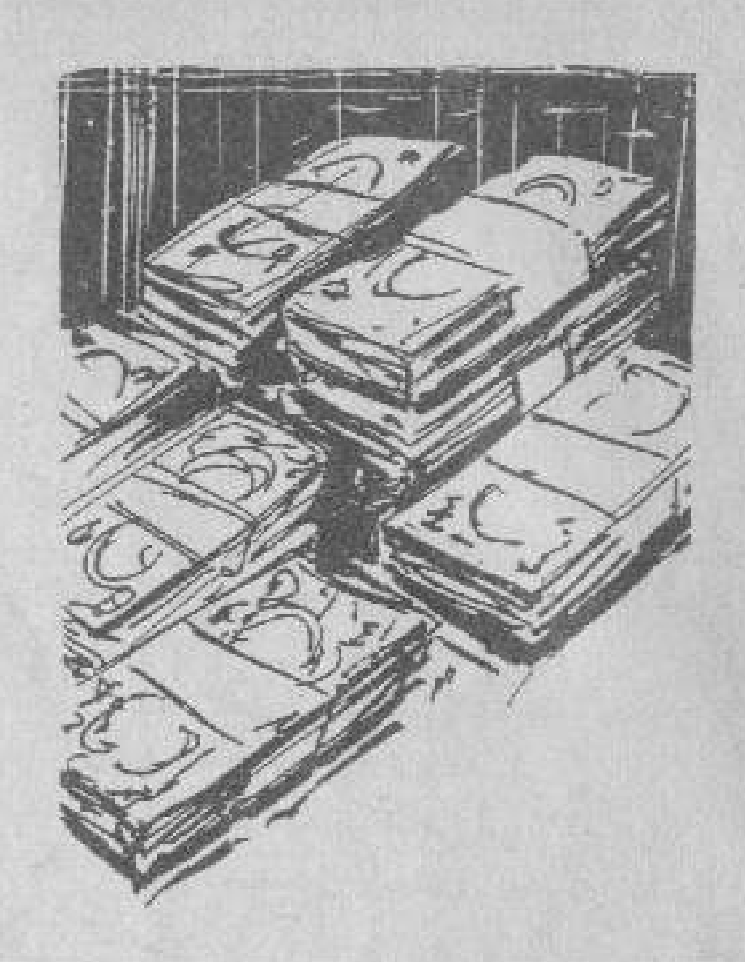
ضايقنى أسلوبه المستهتر ، فى إجابة أسئلتى ، فملت نحوه ، وسألته بغتة فى صرامة :

ــ وأين كانت النقود ، عندما خرج الأستاذ (أمين) لتناول الطعام ؟

أجاب بسرعة ، ودون ترو :

ــ فى الخزانة .

خُيّل إلىّ أنه وقع بلسانه فى الخطأ ، الذى سيكشف أمره ، فهتفت به فجأة :



ــ وكيف عرفت !

ويبدو أننى بالغت كثيرًا فى أسلوبى ، فقد ارتسمت على شفتى الشاب ابتسامة ساخرة ، وهو يجيب :

ــ قبل أن يغادر الأستاذ (أمين) مكتبه ، دعانى إليه ، ليطالبنى بتشديد الحراسة على الحجرة ، وعندئذ رأيته يصفّ رزم النقود داخل الخزانة ، ثم يغلقها جيدًا ، قبل أن ينصرف .

تراجعت بخيبة أمل ، وتصوّرت أنه سيكتفى بهذا القدر ، ولكنه واصل بشىء من الشماتة :

ــ وعندما عاد ، رأيته يخرج رزم النقود مرة أخرى من الخزانة، قبل أن يغلق الباب من الداخل ، ويواصل عدّها .

مرة أخرى لم يرق لى أسلوبه ، ولكننى كتمت هذا فى أعماقى ، وأنا أشير إلى النافذة ، قائلاً :

ــ وماذا عن النافذة ؟.. هل كانت موصدة حينذاك !

ألقى نظرة سريعة على النافذة ، وأجاب :

ــ إنها موصدة دائمًا ، منذ بدأ الشتاء .

قلت فى حدة :

ــ كيف وصل السارق إلى النقود إذن ، مادام كل شىء كان موصدًا من الداخل ؟

هزّ كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ــ إنها مهمتك ، أن تعثر على جواب لهذا السؤال .

شعرت برغبة عارمة فى صفعه ، وإلقائه خارج الحجرة ، ولكننى كتمت رغبتى هذه فى أعماقى ، وقلت :

ــ اذهب ، وأرسل لى الأستاذ (أمين) .

غادر الحارس الحجرة ، فالتفت إلىّ المدير ، يسألنى فى توتر :

ــ هل توصّلت إلى شىء ؟

لوّحت بيدى ، قائلا :

ــ ليس بعد .

اكتفى الرجل بجوابى المقتضب هذا ، وعاد يجفف عرقه الوهمى ، فى حين وصل الأستاذ (أمين) ، وقال فى أسى :

ــ هل تطلبنى ياسيادة المفتش ؟

سألته :

ــ ماذا حدث بالضبط يا أستاذ (أمين) ؟

أجابنى فى توتر حزين :

ــ لقد عدت من فترة الغداء ، وواصلت عدّ النقود ، حتى شعرت بضربة قوية على مؤخرة عنقى ، فقدت بعدها الوعى ، حتى وجدتكم هنا .

سألته فى خبث :

ــ أين شعرت بالضربة بالضبط ؟

أمال عنقه نحوى ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

ــ هنا .

وما إن ألقيت نظرة على عنقه ، حتى زايلنى أى شك فى زيف قصته ، فقد كانت هناك كدمة زرقاء كبيرة واضحة ، تحتل مؤخرة عنقه كلها تقريبًا ، وكان من





الواضح أن الرجل تلقى ضربة عنيفة عليها بالفعل ، تكفى لإفقاده وعيه ..

ولكن هذا كان يزيد الأمر غرابة ، فلو أن الحارس لم يفعلها ، وكذلك الأستاذ (أمين) ، فمن فعلها إذن ؟.

ولم يكد هذا السؤال يجول بخاطرى ، حتى ألقاه المدير على مسامعى فى توتر ، فأجبته :

ـ الاحتمال الوحيد هو أن أحدهم اختبأ هنا ، وسرق النقود ، ثم انضم بعدها إلى الموظفين ، الذين اقتحموا المكتب .

سألنى فى حيرة :

ـ وأين يمكن أن يختبئ ؟

بدا لى السؤال منطقيًا ، وبدت لى فكرتى بالغة السخافة ، فأسرعت أقول :

ـ إنه مجرد افتراض .

ثم قلت بسرعة ، قبل أن ينتبه إلى سخافة الأمر أكثر :

ـ ربما أخذ الأستاذ (أمين) النقود ، وألقاها لشريك له من النافذة ، ثم تظاهر بفقدان الوعى ، أو ربما ضربه شريكه هذا لإتقان اللعبة .

حدق الرجل فى وجهى لحظة فى دهشة ، ثم أجاب :

ـ ولكن النافذة تطلّ على حجرتى مباشرة ، ولو تسلل إليها فأر ، للمحته على الفور .

لم أشعر فى حياتى كلها بالسخافة ، مثلما شعرت فى هذه اللحظة ..

كل الخيوط كانت تنتهى إلى لا شىء ..

من المستحيل أن يكون الحارس هو السارق ..

ومن المستحيل أن يكون الفاعل هو الأستاذ (أمين) ..

ومن المستحيل أيضًا أن يأتى سارق من الخارج ؟..

إنها الجريمة الكاملة إذن ..

الجريمة التى يستحيل كشف سرها ..

جريمة تبدو كما لو أنها قد حدثت فى عالم آخر ، أو ..

فجأة ، تجمّدت الأفكار كلها فى رأسى ، ووجدت نفسى أهتف :

ـ أو فى وقت آخر .

تطلع إلىّ المدير فى دهشة ، وقال :

ـ ماذا تعنى يا سيادة المفتش ؟

أشرت إلى كوفية الأستاذ (أمين) ، وهتفت :

ـ هنا يكمن الحل أيها المدير .

عاد الرجل يحدّق فى وجهى مرة أخرى بدهشة ، وينقل بصره بينى وبين الكوفية ، قبل أن يتمتم فى حيرة :

ـ هنا ؟!

أجبته فى حماس :

ـ نعم أيها المدير .. هذه الكوفية هى التى قامت بالعمل كله .

عاد يتطلع إلىّ مرة أخرى فى دهشة ، فشرعت قائلا :

ـ عندما أتى الأستاذ (أمين) إلى هنا هذا الصباح ، كان يحيط عنقه بهذه الكوفية ، والسبب ليس البرد القارص كما قد يبدو ، وليس كذلك إصابته بنوبة برد .. وإنما السبب الحقيقى هو أن الكوفية ستلعب دورًا كبيرًا فى العملية كلها .. لقد تسلَّم الأستاذ (أمين) المليون جنية من البنك ، وأحضرها إلى هنا ، وبدلاً من أن يعدّها ، راح يصنع رزمًا من الأوراق البيضاء ، تشبه فى مساحتها أوراق النقد ، ووضع فى بداية ونهاية كل رزمة ، ورقة نقد حقيقية ، بحيث تبدو الرزم كلها ، وكأنها تحوى المبلغ كله ، ثم أخفى المبلغ الحقيقى داخل كوفيته المزدوجة ، ولف بها عنقه ، ثم استدعى الحارس ، وتظاهر أمامه بوضع الرزم فى الخزانة ، وهو يطالبه بحراسة الحجرة ، مطمئنا إلى أن الحارس سيشهد وقت اللزوم ، بأنه رآه يضع المبلغ كله فى الخزانة ، وبعدها غادر (أمين) الشركة ، وهو يلف المبلغ حول عنقه ، وأعطاه لشريكه ، الذى ضربه على مؤخرة عنقه ضربة تكفى لصنع كدمة واضحة ، ثم أنعشه ، قبل انتهاء موعد الغداء ، فعاد الأستاذ (أمين) إلى الشركة ، وهو يلف عنقه بالكوفية الخالية ، ليخفى الكدمة وأغلق باب الحجرة خلفه ، وأخرج الرزم الزائفة من الخزانة ، فانتزع منها الأوراق الحقيقية ، ومزّق الأوراق البيضاء ، وألقاها فى سلة المهملات المجاورة لمكتبه ، وبعدها افتعل الضربة ، وتأوّه ، وتظاهر بفقدان الوعى ، والكدمة تكفى لتأكيد موقفه .

ثم ابتسمت مكملاً :

ـ ولكنه نسى أن يفتح باب الحجرة ، أو حتى مزلاج النافذة ، ليترك احتمالاً



منطقيًا واحدًا ، بدلاً من أن يحيط الأمر كله بغموض لا حصر له ، أدى إلى كشف أمره فى النهاية .

هتف المدير ذاهلاً .

ـ كيف أمكنك استنتاج هذا ؟

هززت كتفىّ ، قائلاً .

ـ إنه أسلوبى التقليدى .. أستبعد المستحيل ، فلا أجد أمامى سوى الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها ..

لست أدرى متى وأين قرأت هذه العبارة بالضبط ، ولكن الموقف بدا مناسبًا تمامًا لاستعارتها ، فى ذلك اليوم ..

والمهم أننى واجهت الأستاذ (أمين) باستنتاجى ..

وانهار الرجل ، واعترف ..

وعندما عرض مدير الشركة منحى مكافأة سخية ، رفضت تمامًا ، وأبلغته أننى لم أؤد سوى واجبى ، الذى أتقاضى عنه راتبى الشهرى ، فطالبنى بأن أستقيل ، وأعمل كمدير للأمن فى شركاته ، بمرتب يسيل له اللعاب ..

ولكننى رفضت هذا أيضًا ..

ربما لأننى ما زلت أحب لقب المفتش (عدل) ..

أو لأنها لعبتى أنا ..

أنا .. والقانون .

* * *



أول يناير عام ٢٣٠٧ م

اليوم تمر سبع سنوات ، على الحرب الشاملة ، التي اندلعت مع أول أيام عام ٢٣٠٠م ، وانتهت في الخامس من يناير ، من العام نفسه ..

خمسة أيام فحسب ، استغرقتها الحرب الرهيبة ، التي فاقت أبشع الحروب ، التي قرأنا عنها ورأيناها على شاشات الكمبيوتر المجسَّم ، وأكثرها هولاً ودمارًا ، منذ بدأ التاريخ المدوَّن ..

ويالها من ذكرى ! ..

كان العالم قد نسي الحروب ، أو تناساها ، منذ تلك الحرب العالمية الثالثة ، التي دارت عام ٢٠١٤م ، بين ما كان يعرف باسم الولايات المتحدة الأمريكية ، ودولتي (ألمانيا) و(اليابان) .. ولقد قرأت في كتب التاريخ في طفولتي ، أن هذه الولايات الأمريكية ، كانت قد هزمت الدولتين الأخريين ، فيما عُرِف باسم (الحرب العالمية الثانية) ، عام ١٩٤٥م ، وسيطرت عليهما عسكريًا واقتصاديًا ، بالتعاون مع (انجلترا) و(فرنسا) ، ودولة ثالثة لست أذكر اسمها حاليًا ، فهو طويل ومعقَّد ، ولا وجود له في كتب التاريخ ، منذ زمن بعيد .. المهم أن (ألمانيا) و (اليابان) صمتتا وصمدتا طويلاً ، وراحتا تبنيان اقتصادهما رويدًا رويدًا ، في حين انشغل الاتحاد الأمريكي بالسيطرة على العالم ، والقيام بعدد لا حصر له من الدسائس والمؤامرات ، وخوض حروب قصيرة وسريعة ، كمحاولة لإخضاع العالم كله لما أسماه بالنظام العالمي الفريد ، أو الجديد .. لست أذكر..

ويقال إنه نجح فى ذلك إلى حد ما ، إلا أنه استيقظ فجأة ، من حلمه الاستعمارى العدوانى ، ليجد (ألمانيا) و(اليابان) على قمة العالم ، تؤازرهما كل دول جنوب شرق (آسيا) ، والاتحاد العربى ، و(استراليا) ، وحتى دول (أوربا) و(أمريكا الجنوبية) ..

وثارت ثائرة الاتحاد الأمريكى ..

واندلعت الحرب العالمية الثالثة ..

لقد أشعلها الاتحاد الأمريكى ، دون أن تساوره ذرة واحدة من الشك ، فى أنه سيحسم الحرب لصالحه ، خلال شهر أو شهرين على الأكثر ، ما دام يمتلك كل أسلحة القوة والدمار ، ويحتكر كل الأسرار ..

ثم انتبه فجأة إلى أنه واهم ..

وكشف أنه لا يستند إلا لقشرة واهية ، لم تلبث أن انهارت ، مع انخفاض المستوى الاقتصادى ، بعد شهر واحد من الحرب ، واتضح له أنه لا يمتلك سطوة حقيقية ، بل أصبح مجرّد كيان هش ، تنخره سوس الفساد ، والانحلال ، والأنانية ، والغرور ..

وانهار الاتحاد الأمريكى ..

انهار من الداخل ، قبل أن ينقضّ عليه الماردان ، اليابانى والألمانى ، ويحطمان ما تبقى منه بضربة واحدة ، بفضل الحزم الألمانى الأسطورى ، والتكنولوجيا اليابانية المذهلة ، التى أبطلت عمل كل الأسلحة النوويّة الأمريكية ، قبل حتى أن تنطلق من قواعدها ..

وانمحى من التاريخ اسم (الولايات المتحدة الأمريكيّة) كما امحى من قبلها اسم تلك الإمبراطوريّة الأخرى ، فى شمال شرق (آسيا) ، وغيرها ، وغيرها ..

وبقيت (ألمانيا) و (اليابان) ..

وبدأ عهد جديد ..

عهد ساد السلام والوئام ، وأطلت منه عظمة الإنسان ، وروعة الطبيعة ، وتجلى الخالق (عزّ وجلّ) فى محبة البشر لبعضهم ، ومعاونتهم للضعفاء والمحتاجين ، و ...

وتصوّر الجميع أن الحال سيبقى هكذا إلى الأبد ..

ولكن هيهات ..

بقاء الحال من المحال ..

لقد تطوّرت (ألمانيا) بشدة ، وصعدت أسهم (اليابان) إلى عنان السماء ، ولم تعد إحداهما ترضى بنصف العالم ، بل راحتا تخططان للسيطرة على الكل لا الجزء ..

وعندئذ وقعت الحرب الشاملة ..

كان من الممكن أن يُطلق عليها اسم ، (الحرب العالمية الرابعة) ، لولا أنها كانت رهيبة ، مخيفة ، هائلة ، شاب لها الوليد فى بطن أمه ، قبل أن يلقى كلاهما مصرعه ، بسبب تلك الأشعة المرعبة ، والفيروسات المخلقة ، التى نشرها كل من الطرفين فى سماء العالم ..

وتساقط الملايين والملايين ، واتسعت ابتسامة الموت ، لتبتلع العالم كله فى سويعات معدودة ..

وكانت النهاية مذهلة ..

لم تعد هناك (ألمانيا) ..

ولم تعد هناك (اليابان) ..

الجميع عصفت بهم الحرب ، وأسقطتهم كالهشيم ، تحت الضربات القاسية للنار والفيروسات الرهيبة ، التى أطلقوا عليها اسم (ت.ا.ب.ر) .. أى (تدمير الأجساد بلا رحمة) ..

كان يكفى أن يتسلل الفيروس إلى دمك ، حتى تتساقط أطرافك رويدًا رويدًا ، كما لو كانت أغصانًا ذابلة جافة ، فى خريف شره ..

وعلى الرغم من أن الحرب الفعلية لم تستغرق سوى خمسة أيام ، إلا أن الضحايا راحوا يتساقطون بالملايين ، عبر العامين التاليين ..

سأبحث عن أحياء آخرين ..
سأبحث عنهم فى كل مكان ..
لابد أن يتبقى أمل فى البقاء ..
أمل واحد ..

* * *



والآن لم يعد هناك سواى ..

تساقطوا جميعًا من حولى ، حتى وجدت نفسى فجأة أدفن آخرهم ، وأبقى وحيدًا ..

ولست أدرى حتى لماذا لم ألحق بهم ؟..

التفسير الوحيد الذى سمعته ، فى هذا الشأن ، هو أنه هناك عامل ما فى دمى ، يمنع ذلك الفيروس اللعين من السيطرة على جسدى وتدميره ..

يوم علموا هذا ، قالوا: إننى محظوظ ، وإنه لو كانت هناك أدوات باقية ، من تلك التى ابتكرها العلم يومًا ، ودمرتها أشعة الفساد خلال الحرب الشاملة ، لكانت هناك فرصة لإنقاذ من تبقّى حيًّا ، بوساطة مصل يُصنع من دمى أنا ..

ولكن أحدًا لم يفعل هذا ..

وأحدًا لم يبق ؟..

أنا الآن وحيد بائس ، بلا رفيق أو أنيس ..

ولكننى لن أستسلم لهذا ..

السابع من مارس عام ٢٣٠٧ م

لم يعد هناك أمل ..

أكثر من شهرين كاملين ، وأنا أجوب كل المناطق المحيطة بى ، دون أن أعثر على أثر واحد للحياة ..

ملايين الجثث تملأ الشوارع والطرقات..

أنهار من الدموع سكبتها عينىَّ بلاجدوى ..

لقد أصبح الأمر واضحًا ..

أنا آخر من تبقّى على وجه الأرض ..

آخر البشر ..

ويا له من لقب !..

ويا لها من مفارقة عجيبة !..

عندما أنجبتنى أمى ، أطلقت علىَّ اسم (آدم) ، تيمنًا بسيِّدنا (آدم) ، أوَّل البشر ، دون أن تدرك ، أو حتى يدور بخلدها لحظة واحدة ، أن الذى حمل اسم أوَّل البشر ، سيكون بدوره آخر البشر ..

وربما هى حكمة إلهية ..

من يدرى ؟..

لم أعد حتى أفكِّر فى الأمر ، أو أحاول فلسفته ، بل ولم أعد أشعر بأدنى جدوى لهذا ..

إننى أتساءل : لماذا أكتب هذه اليوميات ؟..

من سيقرؤها بعدى ؟..

تُرى هل تندثر ، كما اندثرت البشرية والحضارة ، أن تأتى يومًا مخلوقات من كواكب أخرى ، فتعثر على هذه اليوميات ، وتتخذ منها ركيزة ، لإثبات أنه كانت توجد

حياة عاقلة على سطح هذا الكوكب يومًا ما ؟..

عجبًا ! .. ما زال تفكيرى خياليًا !..

ما زلت أشغل عقلى بالمستقبل !..

ما شأنى أنا بما سيحدث غدًا ؟..

إننى لن أحيا للغد ، ولن أراه ..

هذا ما اعتزمته ..

أعرف أن الانتحار كفر وجريمة ، ترفضها كل الشرائع والأديان ، ولكننى لم أعد أحتمل الحياة فى ظل هذه الوحدة البائسة اليائسة ..

لقد قررت الصمت والاستسلام ، والامتناع عن الطعام والشراب ، حتى ينهار جسدى ، وألحق بمن سبقونى ..

لم يعد هناك أمل فى الحياة ..

الوداع ..

* * *

الثالث والعشرون من مارس عام ٢٣٠٧ م

لو قدِّر لشخص ما أن يقرأ هذه اليوميات ، فسيتهمنى حتمًا بالتقاعس والتفاهة وانعدام الشخصية ! لأننى بقيت على قيد الحياة ..

ولكننى لم أستطع الانتحار ..

لم أحتمل فكرة الموت كافرًا ، بعد حياة طويلة ، راعيت فيها كل ما أمر به الله (سبحانه وتعالى) ، وأحجمت عن كل ما نهى عنه ..

إننى لم أتوقف قط عن الصلاة ، حتى بعد أن هلك كل من حولى ، صرت وحيدًا فى العالم أجمع ، وعلى الرغم من كل ما ملأ نفسى من يأس وأسى ..

ولكننى فقدت الأمل ..

الأمل فى أن تستمر الحياة على الأرض .

ربما تستمر حياتى أنا لأعوام وأعوام ، قد تقصر أو تطول ، ولكننى فى النهاية



سألقى حتفى ، وتختفى الحياة عن وجه الأرض ..

الحشرات وحدها سترث الكوكب كله ..

إنها المخلوقات الوحيدة ، التى لم تتأثر بالإشعاعات القاتلة ، أو الفيروسات المميتة .

وكذلك النباتات ..

والفاكهة بالتحديد ..

وهذا ما أبقانى على قيد الحياة ..

ولكنى من يرغب فى الاستمرار ..

إننى أدعو الله فى كل صلاة أن تنفرج أزمتى ، وتنتهى وحدتى فى هذا العالم ، ولكنى يبدو أنه لا يستجيب لدعائى قط ، فما زلت على قيد الحياة ، أتمنى الموت فى كل لحظة فلا أجده ..

ولكن .. لحظة ..

هناك شىء يتحرك ، خلف تلك الأشجار البعيدة ..

جسد شبه بشرى ، اختفى بسرعة ، بين الأغصان الكثيفة ..

لقد رأيته ..
مستحيل !..
سأذهب للبحث عنه ..
ربما كان هناك أمل ..
ربما ..

* * *

الرابع والعشرون من مارس عام ٢٣٠٧ م

عثرت على (حياة) ..

فتاة فى العشرين من عمرها تقريبًا ، فاقدة الذاكرة ، تحيا مثلى على النباتات والفاكهة ، ولا تذكر من أمرها شيئًا ..

ربما أصابتها صدمة نفسية شديدة ، محت ذاكرتها ، وحطمت معنوياتها على هذا النحو ..

ولكنها صحيحة جسديًا ..

ذلك الفيروس القاتل فشل فى القضاء عليها أيضًا ..

ربما تحمل فى دمها نفس العنصر المناعى ، الذى أنقذنى أيضًا ..

وعندما عثرت على (حياة) ، كانت خائفة ، مذعورة ، لم تصدق مثلى وجود بشرى آخر على قيد الحياة ، وبذلت أنا جهدًا خرافيًا لتهدئتها ، وإقناعها بأننى لا أقصد بها شرًا ..

وأطلقت عليها اسم (حياة) ..

كان من المفروض أن أسميها (أمل) ، لأنها بعثت الأمل فى نفسى ، ولكنها بدت لى أشبه بالحياة ..

حياة جديدة ، تطل علىّ من عينيها ووجهها الصبوح ..

نعم .. إنها (حياة) ..

حياتى وحياتها ..

وحياة البشر على الأرض ..

* * *



الثالث من يناير ، عام ٢٣٠٨ م

اليوم أتت (أمل) ..

أوّل مولود فى العالم الجديد ، بعد الحرب الشاملة ..

وبعد شهر أو شهرين ، سيأتى مولود آخر ، بعد عثورنا على (حامد) و(أمنية) ، اللذين نجيا أيضًا من الفيروس القاتل ..

وغدًا ربما نعثر على آخرين ، وآخرين ..

وعندما تضع (أمنية) حملها ، أتمنى أن يأتى ذكرًا ، حتى أجد زوجًا لابنتنا (أمل) ، بعد عدة سنوات ..

وربما أنجبت هى ابنة وأنجبت زوجتى (حياة) ابنًا فيما بعد ..

المهم أن اليأس لم يعد يعرف طريقه إلى مجتمعنا الصغير ..

سنعيد بناء الأرض والحضارة ..

ربما كانت أمامنا آلاف السنوات ، لنبلغ ماكنا عليه من قبل ، ولكن جيلنا سيبذل قصارى جهده ، ثم يسلم الراية للجيل الذى يليه ، وهكذا ..

والمهم أننى لم أعد آخر البشر ..

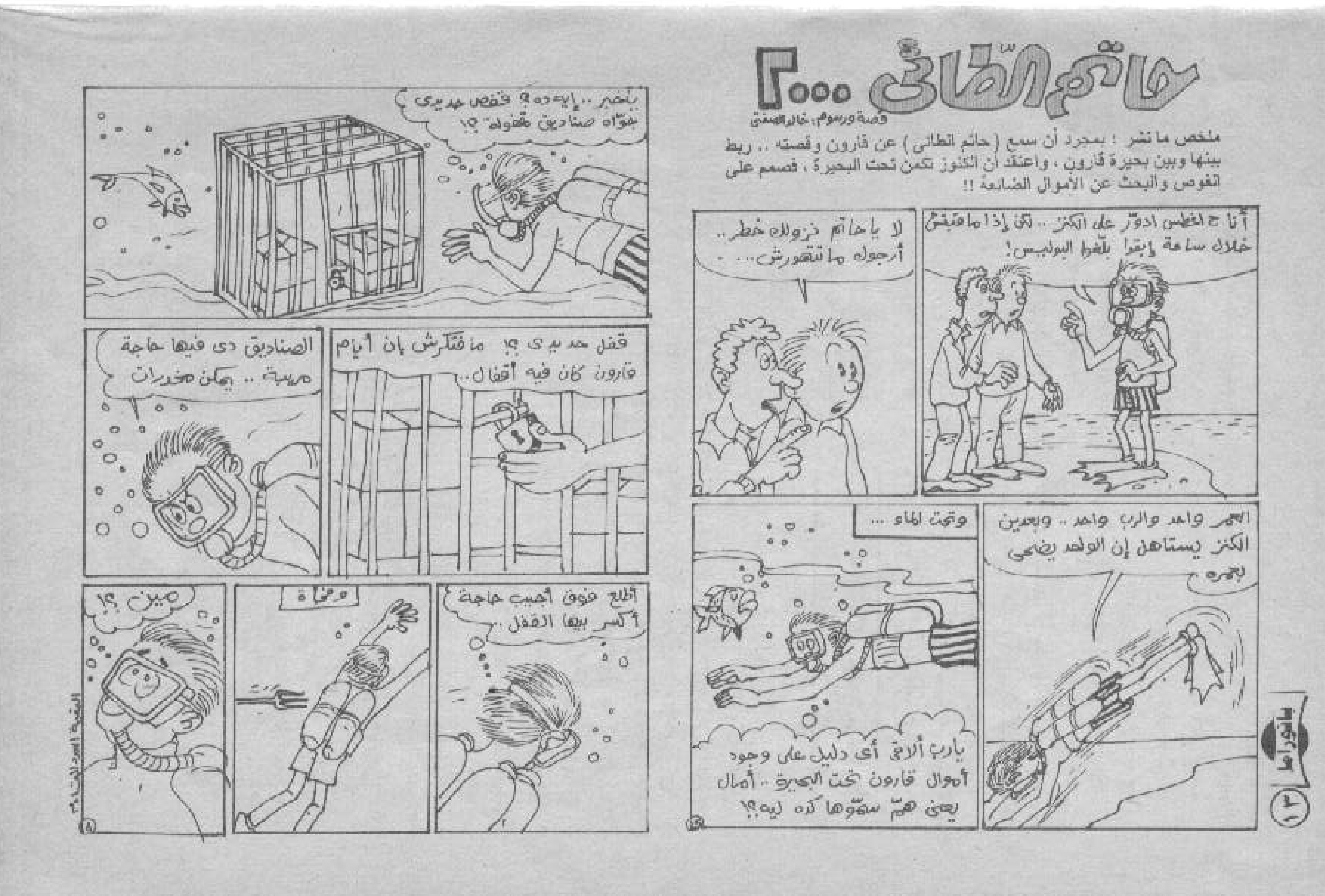
لقد أصبح هناك آخرون ..

وسيبقى الأمل ..

سيبقى إلى الأبد ..

* * *





حاتم الطائي ٢٠٠٠
قصة ورسوم: خالد الصفتي
ملخص ما نشر : بمجرد أن سمع (حاتم الطائي) عن قارون وقصته .. ربط بينها وبين بحيرة قارون ، واعتقد أن الكنوز تكمن تحت البحيرة ، فصمم على الغوص والبحث عن الأموال الضائعة !!
أنا ح اغطس ادوّر على الكنز .. لكن إذا ماطلعتش خلال ساعة إبقوا بلغوا البوليس !
لا يا حاتم نزولك خطر .. أرجوك ماتتهورش ...
البحر واحد والرب واحد .. وبعدين الكنز يستاهل إن الواحد يضحي بعمره
وتحت الماء ...
يارب ألاقي أي دليل على وجود أموال قارون تحت البحيرة .. أمال يعني هم سموها كده ليه ؟!
ياخبر .. إيه ده ؟ قفص حديدي جواه صناديق مقفولة ؟!
قفل حديدي ؟! ما فتكرش إن أيام قارون كان فيه أقفال ..
الصناديق دي فيها حاجة مريبة .. يمكن مخدرات
أطلع فوق أجيب حاجة أكسر بيها القفل ..
وفجأة
مين ؟!
البقية العدد القادم



ملخص ما سبق نشره :

وجد (أشرف) نفسه متورطًا فى لعبة مخابرات أمريكية سوفيتية ، وانحاز دون مبرر واضح إلى (ناتاليا) السوفيتية ، مما أثار غضب الأمريكيين ، وحاول السوفيت قتل عميلتهم (ناتاليا) ، بعد فشلها فى استعادة اسطوانة الكمبيوتر ، التى تحوى المعلومات المتصارع عليها ، وفوجئ (أشرف) بأن الاسطوانة تحوى أسرارًا عسكرية مصرية . وأقنعته (ناتاليا) بالفرار معها ومحاولة بلوغ الحدود اليونانية ، ولكن الشرطة التركية طاردتهما بطائرة هليوكوبتر ، وأطلقت (ناتاليا) النار على الهليوكوبتر . فانهالت عليها وعلى (أشرف) الرصاصات كالمطر .

* * *

١٤ ـ الحدود ..

كان طيار هليوكوبتر الشرطة التركية يطلق النار فى غضب عارم ..

وهذا ما جعله يخطئ التصويب ، فالغضب الشديد يذهب بالعقل ، ويلغى القدرة على التفكير السليم ، وحسن اتخاذ القرار ، والتعامل معه ..

أما (ناتاليا) ، فقد هتفت بـ (أشرف) :

ـ هيا بنا .

صاح مذعورًا ومستنكرًا :

ـ إلى أين ؟! .. الرصاصات تنهال على كل مكان .

قالت وهى تجذبه من معصمه فى حزم :

ـ حاول أن تتجاهلها .

صرخ فى حنق ، وهو يعدو مرغمًا إلى جوارها :

ـ وحتى لو فعلت .. هل ستتجاهلنى هى ؟!

صاحت به :

ـ اجر فحسب .

ولم يكن أمامه بالفعل سوى طاعتها ، فانطلق يعدو معها بكل قوتهما ، والرصاصات تتناثر خلف أقدامهما ، والطيار يصرخ فى غضب :

ـ لن تفلتا منى .

لهث (أشرف) ، وهو يقول :

ـ يبدو أنه على حق .. لم أعد أستطيع مواصلة العدو .

جذبته فجأة إلى اليمين ، هاتفة :

ـ فليكن سنتوقف هنا .

صاح مذعورًا :

ـ ماذا تقولين ؟

ولكنها دفعته جانبًا فى قوة ، فسقط أرضًا ، فى نفس اللحظة التى ألصقت هى فيها ظهرها بالصخور ، ثم أمسكت مسدسها بقبضتيها ، ورفعت فوهته نحو الهليوكوبتر ، صارخة :

ـ لم تترك لنا سوى هذا .

وكان مشهدًا رهيبًا بحق ..

الهليوكوبتر تنقض على (ناتاليا) ، ورصاصاتها تتفجّر فى الصخور المحيطة بها ، فى حين وقفت هى فى حزم عجيب ، تطلق رصاصات مسدسها على الهليوكوبتر ..

وفجأة ، اشتعلت النيران فى مؤخرة الهليوكوبتر ، وصرخ قائدها :

ـ اللعنة ! .. لقد أصابتنا .

ثم استدار بطائرته ، محاولاً الابتعاد ، قبل أن تمتدّ النيران إلى خزان الوقود ، ولكن (ناتاليا) قالت فى شراسة :

ـ لا تحاول يا هذا .. لقد خسرت المباراة .

وأطلقت آخر ما تبقى فى خزانة مسدسها من رصاصات ، وحطمت المروحة الخلفية للهليوكوبتر .. التى اختلّ توازنها دفعة واحدة ، فدارت حول نفسها فى عنف ، قبل أن ترتطم بالصخور ، على مسافة عشرين مترًا من (ناتاليا) و (أشرف) ، وتنفجر بدوى هائل ..

ولم ينبس (أشرف) ببنت شفة ، حتى تلاشى الدوى تمامًا ، وتساقط حطام الهليوكوبتر المشتعلة ، واستقرّ بعيدًا ، فى منتصف الطريق ، فصاح غاضبًا :

ـ لم فعلت هذا ؟

أجابته فى عصبية :

ـ ماذا كنت تفضّل ؟! .. أن يقتلنا هو ؟

قال فى حدة :

ـ بل كنت أفضّل أن يبقى كلانا على قيد الحياة .. لقد بدأ يبتعد بالفعل ، بعد اندلاع النيران فى مؤخرة الهليوكوبتر ، ولم يكن هناك داع لقتله على هذا النحو .

أشارت إلى حطام الطائرة ، وهى تهتف فى غضب :

ـ لو رحل على هذه الصورة ، لوجدت جيشًا من رجال الشرطة خلفنا .

صاح بها :

ـ وما الذى تتوقعين أن يفعلوه الآن .. أن يرسلوا برقية تهنئة ؟

أجابته صارخة :

ـ بل سيجرون بعض التحريات ،

ويستجوبون كل من عبر الطريق ، ثم يصدرون نشرة بأوصافنا ، ويطالبون بإلقاء القبض علينا ، وحتى ينتهوا من كل هذا ، نكون قد عبرنا تلك الحدود اللعينة ، وأصبحنا خارج قبضتهم تمامًا .. هل فهمت ؟

كان تحليلها منطقيًا ، على الرغم من قسوته ، ولكنه قال في عصبية :

ـ وكيف يمكننا بلوغ تلك الحدود ؟.

أجابته في حزم :

ـ سيرًا على الأقدام .

حدّق في وجهها بدهشة ، قبل أن يهتف مستنكرًا :

ـ هل جننت ؟.. أتعلمين كم كيلو مترًا بيننا وبين هذه الحدود ؟. عشرة كيلو مترات على الأقل !

قالت في حسم :

ـ هذا يعني ساعتين من السير على الأقدام على الأكثر (*) ألا يمكنك السير لساعتين فحسب !

قال في عصبية :

ـ بل يمكنني السير لعشر ساعات ، في الظروف العادية ، ولكن الدقيقة الواحدة في مثل هذه الظروف ، تعني الكثير والكثير ..

جذبته في حزم ، وهي تقول :

ـ وتعني أنه لا ينبغي أن نضيع ثانية واحدة .

سألها في دهشة ، وهما يتسلقان الصخور :

ـ ماذا تفعلين ؟

أجابته بسرعة :

ـ أطبق القاعدة الهندسية الشهيرة .. أقصر الطرق من نقطة إلى أخرى ، هي الخط المستقيم .. لن أضيع وقتي في اتخاذ الطريق الطبيعي ، فهذا يجعلنا نخسر الكثير من الوقت ، كما أنه يجعل العثور علينا أكثر سهولة من العثور على نملة سوداء ، فوق ورقة ناصعة البياض .. سنعبر ذلك التل إلى منطقة الغابات ، ونجتازها مباشرة إلى نقطة الحدود .

سألها في عصبية :

ـ وماذا لو وجدناهم في انتظارنا هناك ؟

عقدت حاجبيها ، قائلة في صرامة :

ـ اطمئن .. هناك إجراءات لتفادي هذا .

لم تشرح له هذه الإجراءات ..

ولم يحاول هو أن يسألها ..

فقط واصلا تسلقهما ، وهبوطهما في الجانب الآخر ، حتى بلغا منطقة الغابات ؛ وراحا يقطعانها في صمت ..

وفي رهبة ..

* * *

استغرقت المسافة ساعة وثلاث وخمسين دقيقة بالضبط ، قبل أن تلوح نقطة الحدود من بعيد ، فهتف (أشرف) ، وهو يطلق زفرة حارة :

ـ أخيرًا .. خيل إليّ أن قدميّ ستنهاران ، لو واصلنا السير لربع ساعة أخرى .

عقدت حاجبيها ، وهي تقول :

ـ هذا لأنك لا تزاول رياضة منتظمة .

أشار بيده ، قائلًا في عصبية :

ـ كفى .. أرجوك .. لقد سئمت هذه المحاضرات ، التي أسمعتني عشرات منها ، طوال الطريق .

ابتسمت ، قائلة :

ـ هل أصابك الملل

صمت دون أن يجيب ، وهزّ كتفيه بحركة لا معنى لها فأطلقت ضحكة صافية ، ومالت نحوه ، قائلة :

ـ كم تروق لي يا (أشرف) !

تطلّع إليها في دهشة ، وقد بدا له الحديث عجيبًا ، في موقفهم هذا ، وغمغم :

ـ أروق لك ؟!

ضحكت مرة أخرى ، ومالت نحوه أكثر ، حتى ملأ عطرها أنفه ، وهي تهمس :

ـ بالتأكيد .. بساطتك ، وعفويتك ،

(*) سرعة الإنسان العادي ستة كيلو مترات في الساعة .



وشهامتك .. من المرأة التى يمكنها الصمود ، أمام كل هذا ؟

أسكره عطرها ، وتمنى لو أنه جذبها إليه ، واحتواها بين ذراعيه ، و...

ـ « والآن ماذا سنفعل ؟! » ..

لم يدر لماذا ألقى هذا السؤال ، فى هذه اللحظة بالذات ، ولكن يبدو أن شيئًا ما فى عقله الباطن جعله يفعل هذا ، للفرار من حرج الموقف ..

ولكنها فهمت ..

وفى خبث أنثوى ، ابتسمت ، وتراجعت قائلة فى هدوء :

ـ سنعبر الحدود ..

قال فى عصبية :

ـ بهذه البساطة ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ كلاّ .. ليس بهذه البساطة .. إننا لن نعبر الحدود من هنا .

تطلّع فى حيرة إلى نقاط الحدود ، التى تبدو عند نهاية الغابة ، وقال :

ـ من أين نعبرها إذن ؟

أشارت إلى الغرب ، قائلة :

ـ سنسير بمحاذاة الحدود لنصف الساعة ، وعندئذ سنجد نقطة حدود منفردة ، يرأسها المقدّم (كوستا) .. وسيسمح لنا بعبورها .

سألها :

ـ أأنت واثقة ؟

ابتسمت قائلة :

ـ (كوستا) يعمل لحسابنا ، منذ ثلاث سنوات .

وبدأت سيرها نحو الغرب بالفعل ، مستطردة :

ـ وهى ليست أوّل مرة ، يفعل فيها هذا .

أومأ برأسه متفهّمًا ، وسار إلى جوارها صامتًا ، دون أن يتبادلا حرفًا واحدًا ..

ثم قطعت (ناتاليا) حبل الصمت ، وهى تسأله :

ـ ما اسمها ؟

سألها فى دهشه :

ـ من هذه ؟

هزّت كتفيها ، وقالت :

ـ الفتاة التى ترتبط بها فى وطنك .

ابتسم فى خجل ، مغمغمًا :

ـ لست مرتبطًا بأية فتيات هناك .

هتفت ؟!

حقًا ؟!

أدهشه هتافها ، بكل ما يحويه من لهفة وسعادة ، فتطلّع إليها فى حيرة ، جعلتها تضحك قائلة :

ـ لماذا تحدّق فىّ هكذا ؟!

هم بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن تراجع ، وأطبق شفتيه ، وهو يشيح بوجهه ، مما جعلها تطلق ضحكة أخرى قائلة :

ـ ألا أروق لك ؟

قالتها فى دلال ، وهى تتوقع منه إقبالاً لا حد له ، واعترافًا بجمالها وسحرها ، ولكنها فوجئت به يجيب فى توتر :

ـ كلا .

خيل إليها أنها لم تسمعه جيدًا ، أو لم تحسن فهمه ، فغمغمت :

ـ كلا ماذا ؟

أجابها فى عصبية :

ـ كلا .. لست تروقين لى .

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :

ـ لماذا ؟ .. ما نوع الفتاة ، التى تروق لك فى المعتاد ؟

قال بلهجة مستفزة :

ـ لم أحدّد أوصافها بعد ، ولكنها تختلف عنك حتمًا .

توقّفت (ناتاليا) بغتة ، والتفتت إليه فى حدة ، فارتبك مغمغمًا :

ـ ربما لم أقصد هذا بالتحديد .

انتزعت خنجرًا من حزامها بغتة ، بحركة عنيفة للغاية ، وأطلّت من عينيها نظرة شرسة ، فتراجع ملوّحًا بكفيه ، وهاتفًا :

ـ إنه مزاح فحسب .. لن تقتلنى شابًا لمجرّد أنه ..

ولكن (ناتاليا) قطعته بصيحة قتالية حادة ، ورفعت خنجرها ، وقذفته بكل قوتها ..

وانطلقت صرخة ألم ، من بين شفتى إنسان ..

إنسان يحتضر .

* * *

١٥ ـ يورى ..

للوهلة الأولى ، تصورّ (أشرف) أن الخنجر سينغرس فى قلبه لا محالة ، ثم بدا له مساره أقرب إلى عنقه ، منه إلى قلبه ، ولكن النصل اللامع الحاد مرق على قيد سنتيمترات فى عنقه ، وواصل طريقه وسط الغابة ..

ثم انطلقت تلك الصرخة..

وانتفض جسد (أشرف) فى عنف ، ثم استدار بسرعة ، يحدّق فى مصدر الصرخة ، ووقع بصره على (توم) الذى جحظت عيناه ، وزاغت حدقتاه ، وقد انغرس الخنجر حتى مقبضه فى قلبه ، وارتجفت يده الممسكة بمسدس مزوّد بكاتم للصوت لحظة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وقبل أن ينطق (أشرف) بحرف واحد ، كانت (ناتاليا) قد تجاوزته ، وانتزعت

المسدس من يد (توم) ، وهى تقول فى شراسة :

ـ اذهب إلى الجحيم .

هتف (أشرف) :

ـ إذن فقد عثر الأمريكيون علينا .

انطلقت تعدو هاتفة :

ـ أسرع .. لابد أن نبلغ نقطة (كوستا) بأقصى سرعة .

لم يجد أمامه سوى أن يعدو خلفها ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ ولكنهم كشفوا أمرنا بالفعل .

أجابته لاهثة :

ـ هذا صحيح ، وسينتظروننا فى نقطة الحدود الرئيسية ، ولو طال غيابنا ، سيعلمون أننا نتجه إلى إحدى النقاط الفرعية ، ويلحقون بنا هناك ، ولهذا ينبغى أن نصل إلى (كوستا) ، وننهى إجراءات عبور الحدود بأقصى سرعة .

لهث بدوره ، من فرط التعب والانفعال والتوتر ، وراح يجرى معها عبر الغابة ، حتى لاحت نقطة الحدود الفرعية ، فهتفت هى :

ـ ها هى ذى .

وخففت سرعتها ، وهى تستطرد فى توتر :

ـ حاول أن تبدو هادئًا متماسكًا وإلا استغلّ (كوستا) الموقف ، وطالبنا بضعف المكافأة المعتادة .

حاول أن يبدو هادئًا متماسكًا ، إلا أن الانفعال فى أعماقه كان يعصف بنفسه كلها ، فهتف فى حدة :

ـ وكيف أفعل هذا ؟

قالت فى عصبية :

ـ حاول فحسب .

هتف :

ـ إننى أحاول .. هذا كل ما يمكننى فعله .

عقدت حاجبيها فى توتر ، واتجهت نحو جندى الحراسة الوحيد ، أمام الكوخ الخشبى ، الذى يحمل عبارات باللغات التركية واليونانية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، وقالت :

ـ أريد مقابلة المقدّم (كوستا) .

رمقها الحارس بنظرة خاملة طويلة ، ثم أشار إلى الكوخ ، قائلاً :

ـ إنه بالداخل .

شعر (أشرف) بالدهشة ، من تلك

اللامبالاة ، التى يتسم بها الحارس ، ولكن (ناتاليا) بدت هادئة واثقة ، وكأنها اعتادت هذا ، ودلفت إلى الكوخ الخشبى ، وهى تشير له بأن يتبعها ، وسمعها تقول فى دلال واضح :

ـ مرحبًا يا (كوستا) .. مضت فترة طويلة ، منذ التقينا آخر مرة .

لحق بها (أشرف) إلى الداخل ، وشاهد رجلاً قصيرًا ، أصلع الرأس ، يرتدى حلة رسمية ، ويتطلع إلى (ناتاليا) فى ارتباك واضح ، لم تلتفت إليه هذه الأخيرة ، وهى تقول :

ـ لدينا موعد عاجل ، على الجانب الآخر يا (كوستا) ، وسندفع رسوم العبور المعتادة ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، عندما انتبهت إلى نظرة الاضطراب فى عينيه ، وهو يتطلع إلى ركن الكوخ ، وقبل أن تلتفت إلى حيث ينظر ، سمعت باب الكوخ يُغلق من خلفها ، وصوتًا مألوفًا يقول :

ـ أهلاً (ناتاليا) .

هوى قلب (أشرف) بين قدميه ، وهو يحدّق فى وجه صاحب الصوت ، فى حين استدارت إليه (ناتاليا) فى بطء ، وقالت :

ـ (يورى) ؟!

صوّب (يورى) مسدسه إليها ، وهو يقول :

ـ هيه.. ألق مسدسك أرضًا أولاً يا عزيزتى (ناتاليا) ، فأنا أكره التحدث إلى النساء ، وهن يحملن مسدساتهن .. وببطء شديد ، وإلا انطلق مسدسى بسرعة البرق . ألقت (ناتاليا) مسدسها أمام قدمها ، وهى تقول فى حنق :

ـ كان ينبغى أن أستنتج هذا ، فأنت وأنا نعمل فى الجانب نفسه .. أو كنا كذلك على الأقل .

ابتسم (يورى) فى ظفر وشماتة ، وهو يقول :



ـ نعم يا عزيزتى .. كنا كذلك فيما مضى ، ولكنك فشلت ، ولم تعودى صالحة للعمل معنا ؛ فقد فاتك أننى تلقيت نفس التدريبات ، وحصلت على نفس المعلومات ، وأعلم جيدًا أنك لن تتجهى إلى نقاط الحدود الرئيسية ، بل ستلجئين مباشرة إلى (كوستا) وكان من الطبيعى أن أنتظرك هنا .

قال (كوستا) فى توتر بالغ :

ـ إنه الموقف بسرعة أيها الرفيق (يورى) .. أنت تعلم حساسية مركزى ، و...

قاطعه (يورى) فى حدة :

ـ اخرس .

امتقع وجه (كوستا) ، وازدرد لعابه فى عصبية ، فى حين انعقد حاجبا (يورى) فى صرامة وحشية مخيفة ، وهو يقول لـ (ناتاليا) :

ـ أين الاسطوانة ؟

بدا عليها العناد ، وهمت بأن تقول شيئًا ما ، عندما قال (أشرف) فجأة :

ـ إنها معى .

استدار إليه (يورى) فى حدة ، وقال :

ـ أعطنى إياها .

أجابه (أشرف) فى حزم :

ـ بشرط واحد .

ردّد (يورى) فى دهشة :

- شرط ؟!

قال (أشرف) فى سرعة :

- نعم .. دع (ناتاليا) ترحل أولاً .

حدّق فيه (يورى) و(ناتاليا) بدهشة بالغة ، ثم ابتسم الأول فى سخرية ، وقال :

- إذن فأنت واقع فى هوى عزيزتنا (ناتاليا) .. عظيم .. هذا يجعل الأمور أكثر بساطة ..

ثم جذب إبرة مسدسه ، مستطردًا فى شراسة :

- ستعطينى أسطوانة الكمبيوتر الآن ، أو أطلق النار على رأس محبوبتك الغالية .

توتر (أشرف) فى شدة ، فى حين قالت (ناتاليا) :

- لا تستمع إليه يا (يورى) .

التفت إليها (يورى) بابتسامة ساخرة ، فتابعت فى توتر :

- إنه هاوٍ .. يحاول لعب دور المحترف ، فى هذا المشهد .. ولكنك تعلم مثلى الفارق بين المحترف والهاوى ، فى عالمنا هذا ، و...

بترت عبارتها ، واتسعت عيناها فى شدة ، وهى تهتف بغتة :

- لا يا (أشرف) .. لا تفعل هذا .

انتفض (أشرف) فى جزع ، وهو يحدّق فيها بذهول ، فلم يكن قد تحرك من مكانه قيد أنملة ، أو حاول الإتيان بأى أمر ..

ولكن (يورى) وقع فى الفخ ..

لقد استدار بسرعة كبيرة ، مصوبًا مسدسه إلى (أشرف) ثم لم يلبث أن انتبه إلى الخدعة ، فعاد يلتفت إلى (ناتاليا) ، إلا أن هذه الأخيرة استقبلته بركلة قوية ، أطاحت بمسدسه ، وهى تقول :

- هذا هو الفارق يا (يورى) .

ثم لكمته فى أنفه ، مستطردة :

- أنا محترفة .

تراجع مع لكمتها القوية ، فقفزت تستعيد



مسدسها ، ولكن (يورى) اندفع نحوها ، هاتفًا :

- ليس بهذه السهولة .

وركل مسدسها بكل قوة ، قبل أن تصل إليه ، فرماه إلى ركن الحجرة ، وهو يستطرد :

- أنا أيضًا محترف .

هبّت (ناتاليا) لمقاتلته ، ولكنه لكمها فى معدتها بقوة ، مضيفًا :

- ولكننى من طراز أفضل .

تفجّر غضب هائل فى أعماق (أشرف) ، عندما رأى (يورى) يلكم (ناتاليا) ، فانقضّ عليه ، صائحًا :

- أيها الوغد أتضرب سيّدة .

تفادى (يورى) انقضاضته بانحرافة سريعة ، ثم لكمه فى فكه ، قائلاً فى سخرية :

- هل آلمك هذا كثيرًا ؟

شعر (أشرف) باللكمة كالقنبلة ، وهو يسقط أرضًا ، فى حين اندفعت (ناتاليا) مرة أخرى نحو مسدسها ، صائحة :

- ربما كنت من طراز خاص يا (يورى) .

وقفزت لتلتقط المسدس ، مستطردة :

ـ ولكنه طراز قذر .
كانت أصابعها تهمّ بالتقاط المسدس ، عندما صدر صوت رصاصة مكتومة ، أطاحت بالمسدس بعيدًا عن يدها ، وقال (يورى) فى صرامة :
ـ خسرت أيتها الطراز النظيف .
كان قد استعاد مسدسه ، بأسرع مما فعلته هى ، ووقف يصوبه إليها ، والدخان يتصاعد من فوهة كاتم الصوت فى نهايته ، وهو يشير إلى (أشرف) ، قائلاً :
ـ تعال هنا أيها الهاوى .. قف إلى جوار زميلتنا السابقة ، حتى لا تتكرر خدعتكما مرة أخرى .
مسح (أشرف) خيط الدم ، الذى يسيل من طرف شفتيه ، وهو ينتقل إلى جوار (ناتاليا) ، التى قالت فى عصبية :
ـ والآن ماذا يا (يورى) ؟ .. هل ستقتلنا ؟
أجابها (يورى) فى سخرية :
ـ ماذا كنت ستفعلين ، لو أنك فى موضعى يا عزيزتى ؟
صمتت (ناتاليا) فى حنق ، فى حين قال (أشرف) فى توتر :
ـ لو قتلتنا لن تحصل على الأسطوانة .
هزّ (يورى) كتفيه ، وقال :
ـ سأنتزعها من جثتكما .
قال (أشرف) :
ـ ومن أخبرك أنها بحوزتنا ؟! .. ربما نحتفظ بها فى مكان سرى .
ابتسم (يورى) فى سخرية ، وقال :
ـ فى هذه الحالة لن يحصل عليها أحد ، بعد مصرعكما ، وسنرضى بهذا الحل .
قال (كوستا) فى عصبية :
ـ بسرعة يا (يورى) .. قد يصل المفتش فى أية لحظة .
مط (يورى) شفتيه ، وجذب إبرة مسدسه ، وهو يقول :
ـ لا بأس يا (كوستا) .. سننهى كل شىء على الفور .
وصوّب المسدس إلى (ناتاليا) و (أشرف) ، قائلاً :
ـ وداعًا الدنيا يا صديقىّ
كانت أصابع (يورى) تهمّ بضغط الزناد ، عندما قال (أشرف) فى عصبية :
ـ هناك نسخة أخرى من الاسطوانة .
تطلّعت إليه (ناتاليا) فى دهشة ، فى حين عقد (يورى) حاجبيه ، وقال :
ـ أنت مخادع .
قال (أشرف) فى توتر :
ـ كلاّ .. أنا صادق .. هناك نسخة أخرى من الأسطوانة ، سيتم تسليمها إلى الأمريكيين ، لو لقينا حتفنا .
صمت (يورى) ، وهو يتطلّع إليه فى حذر ، ثم سأله :
ـ ومتى صنعت هذه النسخة الثانية ؟
بدا وكأن (أشرف) قد بوغت بالسؤال ، فارتبك لحظة ، ثم أجاب فى حدة :
ـ لست مضطرًا لإجابة مثل هذا السؤال .
أطلق (يورى) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :
ـ بل لا يمكنك إجابته أيها المخادع ؛ لأنك كاذب فيما تقول .. لا توجد نسخة أخرى من الأسطوانة ، ولو أنك تملك واحدة ، لما سلمتها إلى الأمريكيين ، بعد كل ما فعلته من أجل (ناتاليا) .. أما بشأن الأسطوانة الأصلية ، فإما أن أجدها معكما ، بعد أن أقتلكما ، أو تكونا قد أخفيتماها فى مكان سرى كما تدّعى ، وفى الحالتين لن نخسر كثيرًا .. المهم ألا يحصل الأمريكيون على سرّ التعديلات المصرية للطائرات (ف ـ ٢٠) وألا يستعيدها المصريون .. فى هذه الحالة سيرضينا ألا نحصل عليها نحن أيضًا .
وعاد يصوّب مسدسه إلى (ناتاليا) و (أشرف) ، مستطردًا :

ـ الوداع أيها المخادع .. الوداع يا زميلتى العزيزة السابقة .

وانطلقت رصاصات صامتة من كاتم صوت جيد ..

وتفجّرت الدماء فى نقطة الحدود .

* * *

١٦ ـ صراع القمة ..

سرت ارتجافة عنيفة فى جسد (أشرف) ، عندما صك أذنيه صوت الرصاصة المكتوم ، وتصوّر لحظة أنه لقى مصرعه بالفعل ، ولكن لدهشته لم يكن هناك أدنى ألم ، فجال بخاطره لجزء من الثانية أن الرصاصة أصابت (ناتاليا) ..

ثم انتبه بغتة إلى الحقيقة ..

واتسعت عيناه فى ذهول ..

لقد رأى دهشة عارمة ، تطلّ من عينى (يورى) ، اللذين سال بينهما خيط متعرّج من الدم ، ينبثق من ثقب صغير فى منتصف جبهته ، ثم ترنح جسده لحظة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى هتفت فيها (ناتاليا) :

ـ أنتما ؟!

استدار (أشرف) بسرعة إلى مصدر الرصاصة التى قتلت (يورى) ، وسرت فى جسده ارتجافة أخرى ، عندما رأى أمامه (دارك) و (براون) ، والأخير يحمل مسدسًا ضخمًا ، تتصاعد الأدخنة من فوهته ، فى حين قال (كوستا) فى عصبية شديدة :

ـ ما هذا بالضبط ؟.. لقد اقتحمتما نقطة حدود رسمية ، أو ...

قاطعه (دارك) فى خشونة :

ـ اصمت يا (كوستا) .. لقد حوّلت هذه النقطة الحدودية الرسمية إلى معبر خاص ، ولدينا من الوثائق والصور والتسجيلات ، ما يكفى لإعدامك بتهمة الخيانة العظمى ، لو سلمناه للحكومة اليونانية .



شحب وجه (كوستا) فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ سيّدى .. أرجوك ..

تجاهله (دارك) تمامًا ، وهو يلتفت إلى (ناتاليا) ، قائلاً فى ظفر متشفّ :

ـ أراهن أن هذا قد أدهشك يا عزيزتى ، فستظلون دائمًا على الحال نفسه أيها السوفيت ، مهما تطوّرت الدنيا من حولكم .. إنكم لا تتصوّرون أبدًا أن كل خططكم معروفة لدينا بكل تفاصيلها .

قالت (ناتاليا) فى تحد :

ـ وكل خططكم أيضًا أيها الأمريكيون .

عقد (دارك) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ربّما .. كل منا له الحق فى أن يدّعى ما يشاء ، ولكننا أثبتنا كفاءتنا على الأقل ؛ فنحن نعلم أنكم تتعاملون مع (كوستا) منذ زمن .

امتقع وجه (كوستا) أكثر ، وهو يقول :

ـ سيّدى .. أرجوك .. لست أعترض على أسلوبكم فى تصريف أموركم ، ولكن لا تجعلنى أتورّط فى هذا الأمر .

زمجر (براون) ، وهو يقول .
ـ ولكنك متورط فيه بالفعل .
لوّح (كوستا) بكفيه ، وقال :
ـ فليكن .. لا داعي للغوص أكثر في المستنقع ، لمجرّد أنني وطئته بقدميّ .. ما ستفعله بالشاب والمرأة لا يعنيني قط .. اقتلهما لو أردت ، ولكن بعيدًا عن هنا .
قالت (ناتاليا) في سخرية عصبية :
ـ يالك من وغد مرهف الحسّ :
تابع (كوستا) ، دون أن يبالي بسخريتها :
ـ إننا في مكان رسمي ، والحارس في الخارج يمكنه ..
قاطعه (دارك) :
ـ لا تقلق بشأن الحارس .
ثم ابتسم في سخرية ، مستطردًا :
ـ إنه يعمل لحسابنا .
حدّق فيه (كوستا) في ذهول ، فقالت (ناتاليا) :
ـ ما الذي يدهشك .. هذا أمر طبيعي في عالمنا .
ابتسم (براون) ساخرًا ، في حين قال (دارك) في حزم :
ـ بمناسبة الحديث عن عالمنا .. أين أسطوانة الكمبيوتر ؟
اندفع (أشرف) ، قائلاً :
ـ في مكان ما .
التفت إليه (دارك) ، قائلاً .
ـ أي مكان .
قال (أشرف) في حدة :
ـ مكان ما فحسب .
زمجر (براون) ، قائلاً :
ـ هذا الفتى يحتاج إلى عملية تأديب .
جذب (دارك) إبرة مسدسه ، وصوّب فوهته إلى رأس (أشرف) ، وهو يقول في صرامة وغضب :
ـ بل يحتاج إلى ما هو أكثر حزمًا .
ازدرد (أشرف) لعابه في صعوبة ، وتمتم مضطربًا :
ـ لن يمكنك قتلي بهذه السهولة .. ثم إنك لو فعلت ، فلن تحصل على الأسطوانة قط .
قال (دارك) في برود :
ـ سأجازف بهذا .
حاول (أشرف) أن يتماسك ، وهو يقول :
ـ فليكن .. أطلق النار ، وسيحصل الروس على الأسطوانة :
انعقد حاجبا (دارك) في حدة ، و (براون) يقول في عصبية :
ـ إنه يساومنا .
مط (دارك) شفتيه ، وقال :
ـ دعه يفعل .
ثم انتزع جواز سفر أخضر اللون من جيبه فجأة ، وهو يقول لـ (أشرف) :
ـ ألا ترغب في استعادة هذا ؟
هتف (أشرف) في لهفة :
ـ جواز سفري ؟!
أخرج (دارك) من جيبه رزمة من الأوراق النقدية الخضراء ، قائلاً :
ـ نعم .. جواز سفرك ، وبضعة آلاف من الدولارات .. ما رأيك .. ؟.. إنها صفقة رابحة ، لو قارنتها بما يمكن أن يمنحك إياه الروس ، مقابل تلك الأسطوانة اللعينة .
ارتفع فجأة صوت يقول :
ـ من قال هذا ؟
وهتفت (ناتاليا) في دهشة :
ـ (كلاشينكوف) .
دلف الملحق العسكري السوفيتي إلى الكوخ الخشبي في هدوء ، أمام العيون المندهشة ، وخلفه أحد حراس السفارة ، حاملاً مدفعه الآلي ، فانهار (كوستا) على أقرب مقعد إليه ، وهو يهتف :
ـ ربّاه !.. هذا يدمر مستقبلي تمامًا .
التفت إليه (كلاشينكوف) في هدوء ، وقال بلهجة آمرة :
ـ غادر المكان يا (كوستا) .. لدينا حديث طويل هنا .





نهض (كوستا) ، وهو يرتجف قائلاً :
ـ أرجوك أيها الرفيق (كلاشينكوف) .. لا مزيد من الدماء .
ألقى (كلاشينكوف) نظرة على جثة (يورى) ، ثم مط شفتيه ، ورفع عينيه إلى (دارك) و (براون) ، قائلا :
ـ أية دماء يا (كوستا) .. سنتعامل أنا وهؤلاء السادة ، كما يفعل أى متحضر .

تبادل (دارك) و(براون) نظرة صامتة ، بعد أن نطق عبارته ، ثم أعاد كل منهما مسدسه إلى جيبه ، وقال (دارك) :
ـ هذه الأسطوانة من حقنا .
ابتسم (كلاشينكوف) ، وأشار إلى حارسه ، فخفض فوهة مدفعه ، ودفع (كوستا) إلى الخارج ، وأغلق الباب خلفه ، فشد (كلاشينكوف) قامته ، وقال :
ـ دعنا من فكرة الأحقية هذه .. سندفع ضعف ما يعرضه الأمريكيون أيها المصرى .. ما رأيك ؟
قال (أشرف) :
ـ وماذا عن جواز السفر ؟
ابتسم (كلاشينكوف) فى سخرية ، وقال :
ـ إنه أمر تافه .. سأمنحك وثيقة رسمية من سفارتنا ، تقول : إنك تقدمت بطلب للحصول على تأشيرة دخول لبلادنا ، ولكننا فقدنا جواز سفرك ، ونتحمل المسئولية كاملة ، وبهذه الوثيقة يمكنك استخراج جواز سفر آخر فى لحظة واحدة ، من سفارتنا هنا .
قال (دارك) فى عصبية :
ـ ولكننا نمنحك الجواز الرسمى ، ويمكننا أن نضاعف المكافأة النقدية .. ما رأيك فى مائة ألف دولار .
قال (كلاشينكوف) فى هدوء :
ـ مائة وخمسون ألفًا .
هتف (دارك) :
ـ ربع مليون دولار :
قال (كلاشينكوف) بسرعة :
ـ نصف مليون .
انعقد حاجبا (دارك) فى حزم ، وهو يهتف :
ـ فليكن أيها الروس .. سندفع مليون دولار دفعة واحدة .
وأكمل (براون) فى حسم :
ـ نقدًا .
فتح (كلاشينكوف) شفتيه ، ليواصل المزايدة ولكن (أشرف) قال فجأة :
ـ مهلاً أيها السادة .
التفتت إليه العيون كلها ، فتابع فى حزم :
ـ الواقع أن المبلغ الذى تعرضونه يسيل له اللعاب .. .. وهاهى ذى الأسطوانة .
قالها ، وأخرج الأسطوانة من جيبه ؛ فهتف (براون) :
ـ يا للعين !.. كان يحتفظ بها فى جيبه .
وتابع (أشرف) :
ـ ولكنكم جميعًا نسيتم أمرًا واحدًا ، وسط هذا المزاد الطريف .

وانعقد حاجباه فى صرامة شديدة ، مع استطرادته :
ـ أن حصولكما على الأسطوانة ، يضر بأمن (مصر) .
تبادل (دارك) نظرة عصبية مع (براون) ، ثم قال فى صرامة :
ـ أعطنى هذه الأسطوانة .
وهتف (كلاشينكوف) :



ـ هاتها .

قال (أشرف) فى حسم :

ـ هاهى ذى .

وقبل أن يندفع أحدهما نحوه ، ألقاها (أشرف) أرضًا ، وهشمها بقدمه فى عنف ..

وانتفض جسد (براون) ، وهو يصرخ فى غضب :

أيها الحقير .

أما (كلاشينكوف) ، فصاح :

ـ أنت تستحق القتل لهذا .

وبقى (دارك) صامتًا لحظة ، ثم قال :

ـ هذا أفضل .

سأله (كلاشينكوف) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟

هزّ (دارك) كتفيه ، وأشعل سيجارته فى هدوء ، وهو يقول :

ـ إنها نسخة الأسطونة الوحيدة ، وبتحطيمها يكون الجميع قد خسروا محتوياتها ، فالمصريون ليست لديهم التصميمات الخاصة بالتعديلات الجديدة لطائرة (ف ـ ٢٠) ، ونحن لا نهتم بمعرفة هذه التعديلات ، ما دامت التفاصيل لم تصل إليكم أيها السوفيت .. ببساطة .. عندما تحطمت الأسطوانة ، عادت بنا جميعًا إلى البداية ، قبل كل هذه الأحداث .

مطّ (كلاشينكوف) شفتيه ، طويلاً ، ثم قال :

ـ فليكن .. ربما كنت على حق .

ثم أشار إلى حارس السفارة ، مستطردًا :

ـ وهذا يعنى أن وجودنا هنا لم يعد له ما يبرّره .. سنحمل جثة (يورى) ، ونعود إلى سفارتنا .. إلى اللقاء أيها السادة .. لقد أمتعنى الصراع كثيرًا هذه المرة .

قال (دارك) :

ـ وماذا عن الفتاة ؟.. هل تتركها على قيد الحياة ؟.. لقد قتلت عددًا من أفضل رجالى .

هزّ (كلاشينكوف) كتفيه ، وقال :

ـ لم نعد نهتم بأمرها .. ثم إنكم قتلتم (يورى) ، وهو أفضل رجالنا .

تنهّد (دارك) ، وقال :

ـ فليكن .

ثم ألقى جواز السفر والنقود إلى (أشرف) ، مستطردًا :

ـ خذ هذا .. لم نعد بحاجة إليه .

وفى لحظات ، كان الجميع قد غادروا الكوخ الخشبى الصغير ، فالتفت (أشرف) إلى (ناتاليا) ، وقال فى توتر :

ـ والآن ، ماذا علينا أن نفعل ؟

صمتت لحظة ، ثم هزّت كتفيها ، وابتسمت قائلة :

ـ ما أتينا لنفعله .. سنعبر الحدود .

وقبل أن يعود (كوستا) إلى كوخه ، كانا قد نفذا ما عزما عليه ، و...

وعبرا الحدود ..

* * *

١٧ ـ الختام ..

« وماذا فعلت بعدها .. » .

نطق رجل هادئ ، رياضى القوام ، هذه العبارة فى بساطة ، وهو يجلس أمام (أشرف) ، الذى هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ استطاعت (ناتاليا) تدبير بعض المال ، من أصدقاء لها فى (أثينا) ، وابتعت تذكرة عودة بالطائرة إلى (القاهرة) .

سأله الرجل :

ـ وماذا عن (ناتاليا) ؟

صمت (أشرف) لحظة ، ثم أجاب :

ـ بقيت هناك .

مال الرجل نحوه ، وسأله فى اهتمام :

ـ ولماذا لم تعد معك إلى (القاهرة) ، كما قالت من قبل ؟

صمت (أشرف) فترة أطول هذه المرة ، ثم قال :

ـ لم تجد مبرّرًا لهذا ، فقد تجاهلها الروس، ولم تعد مطاردة ، ثم إنها حصلت بوساطة أصدقائها هناك على عمل جيد ، و...

توقّف لحظة فى حرج ، فسأله الرجل فى هدوء :

ـ وماذا ؟

تردّد (أشرف) لحظة ، ثم خفض عينيه ، متمتمًا :

ـ عندما أخبرتها أن طرازها لا يروق لى ، لم أكن كاذبًا .. صحيح أنها باهرة الحسن ، فاتنة ، رائعة الجمال .. ولكننى لا أميل أبدًا لذلك الطراز الشرس المقاتل من النساء .. إننى أحبهن هادئات ، رقيقات ، ناعمات .. يعشقن الحياة الأسرية ، ويحترمن أزواجهن .

ابتسم الرجل ، وقال :

ـ كلنا هذا الرجل .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

ـ أهذا كل ما لديك يا (أشرف) ؟



أومأ (أشرف) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. ولقد رويته على مسامعك ثلاث مرات على الأقل .

ابتسم الرجل ، ثم قال فى هدوء :

ـ ولماذا أتيت إلينا إذن ؟

أجاب (أشرف) :

ـ تصوّرت أن المخابرات المصرية يهمها أن تعلم ما حدث ، و..

أخرج من جيبه ، اسطوانة كمبيوتر ، مستطردًا :

ـ ويهمها أكثر أن تحصل على هذه .

هتف الرجل :

ـ أهذه هى الأسطوانة ؟

ابتسم (أشرف) ، مغمغمًا :

ـ نسخة سليمة منها .. النسخة الوحيدة .

التقطها الرجل فى لهفة ، وهو يسأله :

ـ كيف صنعتها ؟

ـ أجابه (أشرف) فى بساطة :



ـ عندما كنت فى المطعم مع (ناتاليا) ، اتصلت بصديق لى (نذير) ، وأرسلت إليه محتويات الأسطوانة عبر أسلاك الهاتف ، بوساطة وصلة هاتفية خاصة، فاستقبلها جهاز الكمبيوتر عنده ، وخزّنها لحين عودتى .

ابتسم الرجل ، وربّت على كتف (أشرف) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ رائع يا أستاذ (أشرف) .. لقد قمت بعمل رائع من أجل وطنك

وصافحه فى حرارة ، مضيفًا فى اعتزاز :

ـ أنت بطل يا أستاذ (أشرف) .. بطل حقيقى .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ ولا داعى لأن أذكرك بأن كل ما حدث ينبغى أن يظلّ سرًّا دفينًا فى أعماقك ، فلا تخبر به حتى أقرب المقربين إليك .

ابتسم (أشرف) وهو يقول :

ـ لن أفعل أبدًا يا سيّدى .. هذا وعد .

* * *

التقط (نذير) نفسًا عميقًا ، وهو يقول فى سعادة :

ـ أنهيت قصتى .

التفت إليه (أشرف) ، وقال :

ـ أهى قصة مخابرات جديدة ؟

أجابه فى حماس :

ـ نعم .. قصة عن سر حربى خطير ، يحتفظ به جاسوس على أسطوانة كمبيوتر ، وتدور حرب طاحنة لاستعادته .

ثم ابتسم مستطردًا :

ـ هل تعلم من أوحى لى بهذه الفكرة ؟.. إنه اللعبة التى أرسلتها إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بى ، من (تركيا) .. لقد أشعلت خيالى ، ورحت أتصوّر صراعًا عنيفًا ، يدور حول أسطوانة كمبيوتر ، تسيل من أجلها أنهار الدم ، وتحدث مطاردات مثيرة ، و...

بتر عبارته بغتة ، ثم قال فى أسف :

ـ ولكنك لا تؤمن بكل هذا ، وترى أنه مجرّد خيال ، ولا يحدث أبدًا فى عالم المخابرات الحقيقى .. أليس كذلك ؟

تطلّع إليه (أشرف) لحظة فى صمت ، ثم تحوّل صمته إلى ابتسامة ، رلحت تتسع وتتسع فى سرعة ، ثم لم تلبث أن تحوّلت إلى ضحكة كبيرة .

ضحكة من أعمق أعماق القلب .

(تمت بحمد الله)

* * *



« الأربعون على الأبواب ، والعمر يمضى ... » .

ترددت تلك العبارة فى رأس (فكرى) للمرة الألف ، وهو يستقبل عيد مولده هذا الصباح ..

إنه عامه الأربعون ..

نقطة الانتقال ، من عالم الشباب والرجولة ، إلى مرحلة الكهولة .. وأعتاب الشيخوخة ..

وعندما ذكر هذا لوالده ، قهقه ضاحكًا ، وقال وهو يربت على كتفه فى حرارة :

ـ ماذا أقول أنا إذن ، وسأحتفل بعيد مولدى السادس والستين ، بعد شهر أو يزيد .

كان والده يقولها وهو مفعم بالحيوية والنشاط ، وابتسامته تملأ وجهه الباسم ، الذى تحيط به هالة من الشعر الأشيب ، الذى زاده مهابة ووقارًا ..

ولكن (فكرى) كان يشعر بأنه أكبر من والده ..

ربما لأنه لم يحظ بعد بما حظى به والده ، منذ بلغ عمره ربع القرن بالتمام والكمال ..

لم يتزوج بعد ..

وتنهد (فكرى) فى أسى ، وهو يستعيد ذكريات مضت ..

ذكرى تلك المرة الوحيدة ، والتى حاول فيها الزواج ..

كان فى الرابعة والعشرين من عمره ، تخرج منذ عام واحد من كلية التجارة ، والتحق بالعمل فى بنك وطنى صغير ، عندما التقى بزميلة دراسته (هبة) ، التى ربط الحب بين قلبه وقلبها ، منذ عامها الأول فى الكلية ، وقال لها فى لهفة :

ـ (هبة) .. أعتقد أنه يمكننى التقدم لطلب الزواج منك الآن .

كان يتوقع منها فرحة عارمة ، وسعادة لا حد لها ، وهما اللذان يخططان للزواج منذ تخرجهما ، ولكنه فوجئ بوجهها يشحب ، وبعينيها تغرورقان بالدموع ، وبشفتيها ترتجفان فى مرارة ، فهتف بها جزعًا :

ـ ماذا حدث يا (هبة) ؟ .

يومها تركت دموعها تغمر وجهها الجميل ، وهى تخفض عينيها ، قائلة :

ـ لقد تقدم لى عريس آخر .

انتقل شحوبها إليه ، وقفزت ارتجافتها إلى شفتيه وصوته ، وهو يقول :

ـ عريس آخر ؟!

بكت فى مرارة ، وهى تشرح له كيف رآها ذلك المقاول ، فى أثناء عودتها إلى منزلها ، وكيف تبعها ، وعرف عنوانها واسمها ، ثم تقدم لطلب يدها من والدها الموظف البسيط ، واعدًا إياه بأنه لن يطالبه بأى شىء ، وسيتكفل وحده بكل متطلبات الزواج ، إلى جانب استعداده لشراء شبكة غالية الثمن ،



ودفع مهر محترم ، وإقامة حفل زواج يليق بمقامه ، وتجهيز شقة فاخرة بأفخم الأثاث وأحدث الأدوات ..

ولم يجد والدها مبررًا للرفض ، وهو الذى يستيقظ كل صباح مهمومًا ، يتساءل : كيف يمكنه تجهيز بناته الثلاث للزواج ؟

كانت بالنسبة إليه فرصة لا تعوض ، لتزويج كبرى بناته ، دون أن يتكلف قرشًا واحدًا ..

وكانت الموافقة فورية ، وتمت قراءة الفاتحة ، وتحديد موعد الخطبة والزواج ..

واستقبل (فكرى) حديثها ــ آنذاك ــ كمن يتلقى صدمة كهربية عنيفة ..

لقد انتفض جسده فى عنف ، وجلس يحدق فيها ذاهلاً مصعوقًا ، حتى نهضت هى تمسح دموعها ، وتقول فى همس حزين :

ــ وداعًا يا (فكرى) .. لن أنساك أبدًا .

وانهار هو تمامًا ..

لم يستطع أبدًا استيعاب فكرة العريس الثرى ، الذى يظهر فجأة ملوحًا بأمواله ، فيخطف قلبًا شابًا ، ويحطم آخر ..

وفى اليوم نفسه ، تسلل ليلقى نظرة على ذلك المقاول ، وهو يتمنى أن يجده ضخمًا أصلع الرأس ، تحيط بكرشه الضخم حلة غالية الثمن ، فاسدة الذوق ..

ولكن الصورة جاءت مختلفة تمامًا ..

لقد وجده رجلاً وسيمًا أنيقًا ، قوى الشخصية ، مهاب الطلعة ..

وفى حفل الزفاف ، الذى حضره خلسة ، تبين له أن (هبة) قد انتبهت إلى كل تلك الصفات فى عريسها ، فقد كانت هناك ابتسامة خلابة تضىء وجهها ، وهى تتأبط ذراعه ، وتصعد معه إلى مسرح صغير ؛ لتقطيع كعكة الزفاف الضخمة ..

وبكى (فكرى) طويلاً ..

بكى حتى جفت دموعه ، ثم اتخذ قراره بعدم الزواج إلى الأبد ، والتركيز على بناء مستقبله ..

وفى اليوم التالى ؛ استقال (فكرى) من عمله فى البنك ؛ وقرر اقتحام عالم الأعمال الحرة ..

وكانت أنجح خطوة فى حياته ..

ففى الأعوام التالية ، راح يتنقل من نجاح ، إلى نجاح واشتهر بحسن سيرته . فى مجال بيع السيارات المستعملة ، حتى افتتح معرضًا لبيعها ، فى منطقة هادئة أنيقة ، ثم لم يلبث أن حصل على توكيل لبيع واحدة من أشهر طرازات السيارات فى العالم ، وانضم اسمه إلى قائمة كبار رجال الأعمال فى (مصر) ..

ولكنه لم يتزوج بعد ..

لقد انهمك فى عمله تمامًا ، حتى أنه نسى نفسه ومستقبله ، ولم ينتبه إلى أنه لم يتزوج ، حتى أصبح على أعتاب الأربعين ..

لحظتها بدا كالتائه ، فى صحراء الحياة الجرداء ، يلهث من أجل قطرة ماء ، ولمحة من الظل .....

وفجأة أيضًا ، بدأت عيناه تتابعان الحسناوات ، فى رواحهن وغدوهن ، وقلبه يخفق مع كل وجه جميل وابتسامة فاتنة ..

وفى صباح عيد مولده ، تضاعف لديه هذا الإحساس عشرات المرات ..

إحساس التائه ..

وعندما زار أمه ، وانحنت لتطبع قبلة على وجنته ، وتهنئه بعيد مولده ، فاجأها قائلاً :

ــ أريد أن أتزوج .

لم تصدق الأم نفسها فى البداية ، وهى

التى طالما ألحّت عليه ليتزوّج ، ثم تهللت أساريرها وهى تهتف فى سعادة :

– مبارك .. مبارك .

ثم مالت نحوه ، هامسة فى جذل :

– أهناك واحدة بعينها ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

– كلا .. ابحثى لى عن زوجة مناسبة .

اعتدلت أمه ووجهها يهتف بالبشر، وقالت فى حماس :

– غال والطلب رخيص .

وفى المساء نفسه ، وهو يطفئ شموع عيد الميلاد ، كانت تحمل له عشرات الصور ، لعشرات الفتيات الجميلات ..

والتقى هو واحدة ، سحرته ابتسامتها ، وخلب جمالها الهادئ لبه ، ولكن والدته قالت :

– إنها للأسف – أفقرهن ، فوالدها مجرّد موظف بسيط ، و ...

قاطعها فى حسم :

– هذا لا يهم .. سأتكفّل بكل شىء .. أخبريهم هذا .. المال لا يهمنى قط .

وابتسمت أمه ، قائلة :

– على بركة الله .

ولم يمض أسبوع واحد ، حتى كان يجلس فى منزل الفتاة التى اختارها ، وهى تجلس أمامه صامتة ، وإلى جوارها والداها ، اللذان رحبا به فى حرارة ، وابتسما فى ارتياح ، وهو يؤكد أنه سيتكفّل بكل المصروفات ، من الألف إلى الياء ، ثم أعلن الأب موافقته بلا تحفظ ، وشدّ على يده ، وهما يقرآن الفاتحة ، فى حين أطلقت أم العروس زغرودة قوية مجلجلة ، وكأنها تعلن خبر الزواج للحى بأكمله ..

أما العروس نفسها ، فقد بدت ساهمة واجمة ، وكأنما باغتها الأمر ، أو لم ينل رضاها ..

وعندما صارح أمه بهذا ، وهما فى طريق العودة ، قهقهت ضاحكة ، وقالت :

– كلهن هكذا .. إنها تراك لأول مرة ، والخجل يعقد لسانها .

وقنع بهذا التفسير ، وهو يرقد فى فراشه مبتسمًا ، ويهنئ نفسه على الفوز بتلك الساحرة ، التى فتنت قلبه منذ اللحظة الأولى :

وفى الصباح التالى ، بدأ يشاهد معارض الأثاث ، ويتفقد قاعات الأفراح فى الفنادق الكبرى ، و ..

وفجأة ، وقع بصره عليها ..

خطيبته الشابة الفاتنة ، وشاب فى مثل عمرها ..

كان يجلسان حول مائدة صغيرة ، فى حديقة مطلّة على النيل ، هى تبكى فى مرارة وحرارة ، وهو يحدّق فيها ذاهلا مصدومًا ..

وفهم (فكرى) كل شىء من النظرة الأولى ..

فهم ما يعنيه هذا المشهد ..

بل رأى نفسه جزءًا منه ..

لم يكن أحد الجالسين حول المائدة ، بل كان ذلك المقاول ، الذى انتزع منه (هبة)..

وفى المساء نفسه ، زار (فكرى) خطيبته ، وأعلنها أنه رآها مع حبيبها . وقبل أن تفزع ، شرح لها أن هذا لم يؤذه ، وأنه يفهم موقفها .. بل وطالبها بأن ترسل الشاب للعمل فى شركته بمرتب ضخم ، يتيح لهما الزواج وتأثيث منزل مناسب ..

وبكت الفتاة بين يديه ، وهى تشكر له شهامته ورجولته وكرمه ..

وغادرهو منزلها وهو يبتسم فى ارتياح ..

وحضر إليه الشاب بالفعل ، وألحقه هو بالعمل ، وساعدهما على الزواج ، وكان شاهد العقد فى حفل زفافهما ..

ولكنه لم يفكر بعدها فى الزواج قط ..

لقد اكتفى بذلك الشعور الذى ملأ كيانه كله، فأزاحت عنه كل المشاعر الأخرى ..

شعور التائه .

* * *

